الحلقة (١)

o مكانة الدين في حياة الإنسان:

الله سبحانهُ وتعالى خلق الإنسان وجعلهُ متميزاً على سائر المخلوقات بما وهبهُ الله سبحانه وتعالى له من عقل وكلام وقدرة على التميّز بين ما هو خطأ وما هو صواب، وما هو حق وما هو باطل، وهذا ما يجعل الإنسان في مكانة متميزة عن بقية المخلوقات، مع أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الحيوانات الأخرى غرائز وبواعث وقِوى لازمة لحياتها حسب أنواعِها وأجناسها، فالله سبحانهُ وتعالى يقول: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[طه٥٠]، إلا أن الله سبحانهُ وتعالى قد اختار الإنسان ليكون مناط التكليف، والقائم على خلافة الله في الأرض بالعمارة ووجوه الإصلاح والاستصلاح، والله سبحانهُ وتعالى عندما خلق الإنسان ركبهُ على عوامل لا تستقيمُ معها حياتهُ إلا مع بني جنسهِ، فلا يقدر الفرد على أن ينهض وحدهُ بشأن نفسهِ، سواء في غذاءه أو في أمنه فهو مدني بطبعهِ وفطرته، وبهذا كانت الحياة الإنسانية حياة اجتماع وألفه وترابط، يسدُ فيها كُلَ فردٍ ثغرة في بناءِ مجتمعه ونظام حياته، **هنا نطرح سؤال:**

ما حاجة الإنسان إلى الدين؟

نقول: لا يستطيع أيُ إنسانٍ أن يعيش في الدنيا بلا عقيدة، وتلك نتيجة حتمية أملتها تجارب الإنسان في الحياة منذ بداية وجوده على الأرض إلى يومنا هذا، ولذا نجد أن الدين كان ضرورة في حياة الإنسان يسير معها جنباً إلى جنب، منذُ أبونا آدم عليه السلام، فكان آدم نبياً في أولادهِ كما في الحديث الذي يرويه أبو ذر الغفاري قال: قلت يا رسول الله أنبياً كان آدم قال: (نعم)، ولقد صح في أحاديث كثيرة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم نبيٌ مرسل إلى أولادهِ، ومن ذلك يتبين لنا أن الدين ضرورة لاستقامة حياة الإنسان، فالإيمان بالله يشكل لدى الإنسان قطب الدائرة في حياتهِ، سواءً من الناحية العقلية أومن الناحية الفطرية أو من الناحية العاطفية، وبما أن الإنسان لا تستقيم لهُ الحياة بلا دين فقد ركب الله فيه الوسائل التي تهديه إلى تميّز الحق من الباطل، وهذه الوسائل تنحصر في شيئين: هما: (**الفطرة، والعقل**)، وسنتحدث عنهما بالتفصيل:

الفطرة: فهي ما أودعه الله سبحانه وتعالى في الإنسان بحكم النوع مما يثبت لكل مخلوق عند ولادته، فالله سبحانه أوجد الإنسان وأبدعه على هيئة تجعله على استعداد لمعرفةِ الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم]، ويقول النبي صلى الله عليه وصحبه وسلم: (كل مولود يولدُ على هذه الفطرة...) الحديث فالفطرة هي بذرة الإيمان بالله والاهتداء إليه.

العقل: العقل هو القدرة المبصرة التي يدرك الإنسان بها الخير من الشر، ويميز بها بين الحق والباطل،

ومتى نبت العقل في منبتٍ سليم وغذي بالعلم الصحيح نمى ونَضُج ورَشُد على علمٍ بالله وما يلزم في حق الله سبحانه وتعالى.

فإذا سلمت فطرة الإنسان وعقله فقد أصبح مهيأ للخير بعيداً عن الشر، يغلب عليه جانب الدين الصحيح لأنها توفرت عوامله داخل النفس، فبمجرد الدعوة إلى الله ينقادُ ويلتزم بها ولا يتخلى عنها، لأنها وافقت ما في نفسهِ وما ركبه الله عليه عند خلقهِ لهُ سبحانه وتعالى.

o حاجة الإنسان إلى شرع الله:

لا يصلح الناس في هذه الحياة بدون تشريع من الله يحدد لهم علاقاتهم ويحدُ من تصرفات أفرادهم، إذ النفوس مجبولةٌ على الأثرة وحب الذات والإفراط في ما تحويه لها دون غيرها مما تتميز بهِ دون الآخرين، مما يولد اختلالا في حقوق الأفراد وحرياتهم بهذهِ الدوافع، فكانت الشرائع السماوية رحمةً بالعباد، وضرورة لاستقامة الحياة فيما بينهم، تفصلُ بينهم فيما يختلفون فيه، وتحدُ أيضاً من تحكم الهوى بينهم وجبروت القوة، فيمتنع تصادم الرغبات والشهوات بين الأفراد، وبهذا يحفظ لهم ما هم محتاجون إليه من ضرورياتٍ خمس التي هي: (**حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل**)، إلى جانب تنظيم علاقاتهم بخالقهم سبحانه وتعالى في أمر الدين والدنيا معا، فكان شرع الله عدل بين عباده، وهدىً لخلقه إلى الصراط المستقيم، ولهذا كان **تشريع الله سبحانهُ وتعالى** هو أول تشريع نظم حياة الإنسان على وجه الأرض، كما أنه أعدل نظام عرفه الإنسان في الحياة، والقوانين الوضعية مهما ارتقت لا تحقق شيئاً من العدالة ومن تنظيم حياة الإنسان تنظيما دقيقاً على الوجه الذي تتحقق معه المصالح وتندفع به المفاسد، قد تحقق جانب ولكنها لا تحقق كل الجوانب، **وذلك لأسباب ثلاثة:**

السبب الأول: أن هذهِ القوانين من صنع الإنسان ومن نتاجهِ الفكري، وفكر الإنسان ناقصٌ وقاصر، تختلف مقاييس الخير والشر في نظرهِ بتفاوت الأفكار، وعدم عصمتها من الزلل، والاندفاع خلف الشهوات والرغبات.

السبب الثاني: أن نظر الإنسان يقف على ظواهر الأمور، فلا يعلم ما في نفس الإنسان، وما تنطوي عليه من عوامل، وما يتلاءم مع تلك العوامل مما يصلحها ويُهذِبُها.

السبب الثالث: أن هذهِ القوانين تأتي خلواً من عنصريّ الدين والأخلاق، ومتى فقدت هذين العنصريين فلا سبيل لوصولها إلى داخل نفس الإنسان، فلا تهذبُها لا ظاهراً ولا باطنا، فكان الإيمانُ بها ضعيفا، والانقياد لها خوفا، فإذا ما أمن الإنسانُ جانبها فلا هيبة لها عندهُ ولا احترام لها في نفسهِ، لأنها لا تتلاءم مع فطرتهِ التي فطره الله عليها.